



عصمة أمري

خطب الجمعة

2018-12-14

عمان

مسجد أحد

ياربنا لك الحمد ملاء السماوات والأرض وملاء ما بينهما وملاء ما سئتت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عتي كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هداك، وكيف تذل في عزك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جئات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً، وبعد عباد الله اتقوا الله فيما أمر وانتهوا عما عنه نهى وزجر أوصيكم ونفسي بتقوى الله وأحثكم على طاعته، واستفتح بالذي هو خير.

إصلاح الدين

أيها الأحباب: في صحيح مسلم دعاء نبوي من الأدعية الجامعة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به ويكثر منه، هذا الدعاء هو قوله صلى الله عليه وسلم:

{ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي

فِي كُلِّ حَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ }

(صحيح مسلم)

دعا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الدعاء بصلاح ثلاثة أمور وبدأها بالأهم الذي لا تصلح الدنيا ولا الآخرة إلا به وهو صلاح الدين، فقال: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وهل الدين يحتاج إلى إصلاح؟

أيها الأحباب: الدين منهج السماء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا

(سورة المائدة: الآية 3)



الدين توقيفٌ من الله

أي: إن عدد القضايا التي عالجها الدين كاملةً عددًا تامهً نوعاً وأي محاولةٍ للحذف من هذا الدين فهي اتهامٌ له بالزيادة، وأي محاولةٍ للزيادة عليه فهي اتهامٌ له بالنقص، فالدين توقيفٌ من الله لا يُزاد عليه ولا يُنقص منه، وإذا سمعتم اليوم في وسائل الإعلام عن التجديد في الدين فهي دعوةٌ حقٌّ أريد بها باطلٌ في كثيرٍ من الأحيان، فإن كان المقصود بالتجديد أن نعيد للدين لفته وأن ننزع عنه ما علق به مما ليس منه وأن نفهم أحكامه وأن نطبقها في واقعنا وأن ننشر هذا الدين وأن نحبي ما أميت من سنته فنعم التجديد وهو مطلوب وإن كان التجديد يعني رؤيةً معاصرةً تخرج الدين عن مدلولاته وتجاوب أحكام الله عز وجل بدعوى العصر وتغير الأزمان وتغير الأماكن وأن هذا الدين لم يعد قابلاً للتطبيق في ذلك الزمن فهي دعوى باطلة يريد أعداء الدين أن ينفذوا إلينا من خلالها، فلننتبه.

الدين عصمة الأمر



العصمة من الوقوع في الزلل

أيها الأجيال أعود إلى الدعاء: (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أُمْرِي) الدين عصمة الأمر لأنه يعصمك من أن تقع في الزلل أو العبث أو الخطل أو الخطأ، يعصمك فلا عاصم إلا دين الله عز وجل، ولن يعصمك في حياتك ولا يوم تلقى ربك ولن يعصمني إلا التمسك بدين الله تعالى فهو عصمة الأمر، كم من إنسان أردى نفسه في المهالك والشقاوة في بعده عن دين الله عز وجل، لم يكن الدين في يومٍ من الأيام إلا باعناً للوحدة وباعناً للأمن والأمان وللسلم والسلام.

أيها الإخوة الكرام: أروي لكم قصةً توضح كيف يكون الدين عصمة الأمر وكيف يمكن للإنسان في لحظة سفوٍ وطيشٍ أن يخسر دينه وآخرته، ميمون بن قيس شاعرٌ جاهليٌّ مكنتي بأبي بصير ومعروفٌ بالأعشى (لقبه الأعشى)، ولعلكم سمعتم بالشاعر الأعشى وهو من الشعراء الفحول، هذا الشاعر أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يُسلم، مع أنه مدح صلى الله عليه وسلم، الأعشى مدح رسول الله في أبياتٍ تأسر القلوب، اختار لكم منها: يخاطب ناقته، راحلته، فيقول لها:

تلقى الكرم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قصة الأعشى مع الإسلام



المنهج يقتضي افعَل ولا تفعل

كلام جميل، لكن الأعمشى لم يسلم، رغم أنه أراد أن يسلم، فما الذي حصل معه؟ (خرج الأعمشى وفي طريقه إلى محمد صلى الله عليه وسلم اتفقت قريش فقالوا: هذا صَّاحِبُ العرب ما مدح أحداً قط إلا رفعه فإياكم أن يصل إلى محمد لكي لا يمدحه بشعره) هم يظنون أن الرفعة تكون بالشعر لكن الله تعالى هو الذي رفع ذكر حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم، على كلِّ (وقفوا في طريقه وأرصدوا له فلما خرج قالوا: إلى أين أنت ذاهب؟ قال أريد صاحبكم هذا لأسلم) أنا ذاهبٌ للإسلام، (فقالوا له: إنه يا أبا بصير ينهك عن خلال وبحرمها عليك، وكلها بك رافق ولك موافق) الإسلام مبدأ، ومنهج، والمنهج يقتضي افعَل ولا تفعل، وهذه افعَل ولا تفعل إنما هي لصالحنا.



أوامر الدين ضمان لسلامتنا

تماماً لو أنك كنت تمشي في طريق فوجدت محولاً كهربائياً كبيراً كتبت عليه الأمانة ممنوع الاقتراب خطر الموت، هذا التوجيه يمنع الاقتراب هل تشعر أنه جاء حداً لحريتك؟ أم وضع ضماناً لسلامتك؟ بالتأكيد وضع ضماناً لسلامتك، فتستجيب له، كل أوامر الدين وكل نواهي الدين من هذا الصنف وضعت ضماناً لسلامتنا لا حداً لحريتنا، فمن فقه ذلك فقد فقه حقيقة الدين، عندما ينهانا الله عن الزنا فهو لصالحنا عندما ينهانا عن أكل أموال الناس بالباطل حتى لا يأكل الناس أموالنا بالباطل، عندما يأمرنا بغض البصر عن المحارم حتى يغض الناس البصر عن محارمنا وهكذا، فكل أمر في الدين وكل نهي في الدين هو لصالحنا، لكن غير الفقيه في الدين يظن أن الأوامر تحد من حركته.

الآن هؤلاء قالوا له: (إنه ينهك عن خلال، وكلها بك رافق ولك موافق) تحب أشياء سوف ينهك عنها (قال: وما هي؟ قالوا: الزنا، فقال: لقد تركتني الزنا وما تركته) أنا رجلٌ كبيرٌ في السن وتركت الزنا ولا أريد شيئاً من هذا، (قالوا: هناك أشياء أخرى، قال: وما هي؟ قالوا: ينهك عن القمار) الميسر (قال: لعلني إن وصلت إليه أصيب منه عوضاً عن القمار) يغيبني الله لا أريد القمار، (قالوا له: ينهك عن الربا، قال: والله ما دبت ولا أدنت) أنا لا أتعامل بالقروض أصلاً، لا أحب القرض، فالربا لا يهمني، قالوا له: وهم يعلمون شدة تعلقه بالخمير، (قالوا له: الخمير، قال: أوه هذه صعبة، أرجع إلى صبايق) شيء من الخمير (بقيت في المهراس فأشربها) أولاً أشرب الخمير ثم أسلم، (قال له أبو سفيان: وهل لك في خير من ذلك؟ قال: وما هو؟) ما هو الخير من ذلك؟ (قالوا له: نحن الآن في هديّة مع محمد لسنة) صلى الله على محمد، (فارجع سنتك هذه فإن طفرنا عليه بعد ذلك فقد أصبت عوضاً) تعطيك منة من الإبل هدية فقط لا تسلم هذه السنة، (وإن طفر علينا بعد سنة جئت إليه فأسلمت معه، قال: والله هو خير) هذا الخيار جيد، في نظره هذا الخيار جيد.

(فقال أبو سفيان لقومه: اجمعوا له منة من الإبل فوراً، فوالله إنه إن وصل إلى محمد وألقى الشعر ومدحه لئنهضنَّ العرب عليكم) الشعر كان محرك قوي في الجاهلية، يعني الوسيلة الإعلامية الأولى، يعني كأنك اليوم تقول: إن وصلت إلى القناة المحددة المعروفة التي تنشر الأخبار ونشرت الخبر هناك فقد وصل إلى العالم كله، هذا هو وسيلة الإعلام في عهد العرب، (فقال لهم: اجمعوا له منة من الإبل فجمعوها له فرجع وأجر إسلامه سنة، أثناء عودته إلى بلده وهو في منطقة تسمى قاع منفوحة رمى به بعيره عن ظهره فداسه فقتله، فكانت الشبان إذا أرادوا أن يشربوا الخمر جاؤوا إلى قبره فشربوا الخمر على قبره وصبوا عليه فضلات الأقداح) كما يقول ابن هشام.



سوف حديجٌ من جنود إبليس

إذا أيها الأحباب: هذا الرجل أحرَّ أو سَوَّف، وسوف حديجٌ من جنود إبليس، سَوَّف عمله، أحرَّ عمله، أحرَّ إسلامه، فلم يكن الدين عصمةً له من الأمر، ولو أسلم لكان اليوم فلان رضي الله عنه، كما نترضى اليوم عن بلال وعن صهيب وعن سلمان رغم أن ثلاثهم ليسوا من العرب والأعمشى عربي أصيل لكننا نترضى عن سلمان الفارسي، وعن صهيب الرومي، وعن بلال الحبشي، ونقول: هؤلاء ساداتنا لأنهم اتخذوا قراراً صحيحاً، فالعبرة أن يتخذ الإنسان القرار الصحيح في الوقت الصحيح وفي الزمن الصحيح.

الإصلاح يكون في فهمنا للدين

أيها الأحباب: أعود إلى الدعاء: (اللَّهُمَّ أَطْلِعْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أُمْرِي) قلت لكم هل يحتاج الدين إلى إصلاح؟ الدين من حيث هو منهج السماء لا يحتاج إلى إصلاح، لكن ديننا نحن أي الطريقة التي ندين الله بها، أي الطريقة التي نفهم الدين بها هذه تحتاج إلى إصلاح، كثيرٌ من الناس فهموا الدين على أنه عباداتٌ شعائريةٌ من صلاةٍ وركاؤٍ وصومٍ وحجٍّ، هذا الدين يحتاج إلى إصلاح، فالدين منهجٌ كاملٌ يبدأ من العلاقات الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية، كثيرٌ من الناس لم يفهموا قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ

(سورة الشورى: الآية 13)



إقامة الدين في جميع نواحي الحياة

(أَقِيمُوا الدِّينَ) ما معنى (أَقِيمُوا الدِّينَ)؟ (أَقِيمُوا الدِّينَ) أي اجعلوه قائماً في حياتكم، في بيعكم، في شرائكم، في تعاملاتكم، في سوقكم، في محلاتكم، في مدارسكم، في جامعاتكم، في طرقاتكم، (أَقِيمُوا الدِّينَ) كانت العرب تقول: "أقام القوم سوقهم"، ما معنى أقام القوم سوقهم؟ هل تعني أنهم أقاموها جعلوا خيمةً وجعلوا محلات وانتهى الأمر؟ قال: لا، أقام القوم سوقهم أي لم يُعْطَلوها من البيع والشراء، يعني من تحقيق الغاية التي وجدت من أجلها، فإذا كان في السوق بيعٌ وشراءٌ فهي سوقٌ مقامةٌ وإن لم يكن في السوق بيعٌ وشراءٌ فلم تُقَمْ السوق ولو رأيتها مقامةً في الظاهر، عندما يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ

(سورة البقرة: الآية 43)



معنى إقامة الصلاة

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) لم يقل: أدوا الصلاة، لم يقل: صلوا، (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) أيها الأحباب؛ يعني ذلك كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (إقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والإقبال على الله فيها) هذا معنى إقامة الصلاة، أن تنهك، وأن تنهاني عن الفحشاء والمنكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

(سورة العنكبوت: الآية 45)

فإن نهت عن الفحشاء والمنكر فقد أُقيمت، وإن لم تنه عن الفحشاء والمنكر فقد أُدبَّت وسقط الوجوب وإن لم يحصل المطلوب.
إذا أياها الأحياء: ديننا يحتاج إلى إصلاح عندما نفهم الدين بطريقه خاطئة أو عندما نفهم أن الدين يؤمن ببعض ونكفر ببعض فنؤدي من واجبات الدين ما يحلو لنا وتترك ما نجده صعباً علينا وشاقاً علينا هذا الدين يحتاج إلى إصلاح، ديننا نحن عندما نفهم الدين بشكل مغلوط.

الغلو في الدين

أيها الإخوة الكرام أيها الأحياء: أيضاً يفهم الدين خطأ عندما يغلو الإنسان فيه، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ

(سورة النساء: الآية 171)

وفي مسند أحمد بسند صحيح:

{ عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُفْرًا وَالْغُلُوفُ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوفُ فِي الدِّينِ }
(رواه الإمام أحمد)

ما معنى الغلو؟ الغلو هو مجاوزة الحد، فكل تجاوز للحد الشرعي فهو غلو في الدين، فمن يخللون الحرام ويحرمون الحلال فهم غالوا في الدين، الذين يكفرون المسلمين لمجرد اختلافهم معهم في الرأي فهم غالوا في الدين.

{ عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ }
(رواه مسلم)

يعني إما أن تصيب هذا الرجل فهو كافر حقيقة، وإما أن ترجع إلى الرجل الذي قالها لأنه قالها بغير وجه حق.
لذلك أيها الأحياء: هذا الحديث يؤثر أشد التأثير ممن يكفرون في الدين بغير دليل، هكذا يطلقون الأحكام على عواهنها.

{ عَنْ ثَابِتِ بْنِ الصَّحَّاحِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ خَلَفَ بِمِلَّةِ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَادِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّتْ بِهِ فِي تَارِ جَهَنَّمَ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ }
(صحيح البخاري)

الدين هو الوسط

أبها الأحياب: كل بعدٍ عن الدين فهو تطرف، فالدين هو الوسط والبعد عنه باتجاه التكفير والتفجير تطرف، والبعد عنه باتجاه الإنحلال وتمييع أحكام الدين هو تطرفٌ أيضاً، الدين هو الوسط، لا يصح أن نقول: دينٌ وسطيٌّ، لأنه هو الوسط فلا داعي لوصفه بالوسطية، الدين هو الوسط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

(سورة البقرة: الآية 143)



كل بعد عن الدين تطرف

فكل بعدٍ عن الدين باتجاه التكفير والتفجير واستباحة الأموال والأعراض والدماء فهو تطرف وغلو، وكل بعدٍ عن الدين في الطرف المقابل باتجاه تمييع الأحكام ورؤية معاصرة وتجديد في الدين بمفهومه السيء وأحكام جديدة وتطوير وتحديث الدين فهو تطرفٌ أيضاً وهذا يقابل هذا، فعل وردة فعل.

أبها الإخوة الكرام: لم تكن المشكلة يوماً في الدين وإنما في البعد عن الدين، وأختم بهذا، كيف؟.

الذين يهتمون الدين بأنه مصدرٌ للعلو اليوم، ومصدرٌ للمشكلات اليوم، كما نسمع في بعض الإعلام، نقول لهم: يوم كان ديننا مطبقاً في عصوره الزاهرة، يوم كانت الأمة الإسلامية تمتد من شرق الأرض إلى غربها، هل ظهر التطرف؟ يوم كان المسلمون ملتزمين بدينهم حقاً، يوم كانت تطبيق أحكام الإسلام كلها بدءاً من العبادات وانتهاءً بالحدود، كل أحكام الدين كانت تطبق، هل ظهر تطرف؟ هل سمعنا تطرفاً وتكفيراً وتفجيراً وقتلاً واستباحةً للدماء؟ كان المسلمون في أمانٍ ودعةٍ وسلامٍ، متى ظهر التطرف؟ عندما ابتعدنا عن الدين إذاً الدين يجمع ولا يفرق، الدين يحب ولا ينفّر، الدين يؤلف ولا يفرق، لكن الذي يفرق ويكفر ويفجر هو البعد عن حقيقة الدين، والبعد عن الطلب العلمي الشرعي المُؤصّل.

إذاً أبها الإخوة الكرام: دائماً ادعوا الله تعالى أن يصلح لنا ديننا لأنه عصمة أمرنا.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أُمَّرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادِنَا.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنَ عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا، فلتتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان، واستغفروا الله.